الصعوبات والحلول في تعلّم اللغة العربية لدى الأطفال في المدرسة الجزائرية

د. خثير عيسى
المركز الجامعي عين تيموشنت

لُغَةٌ إِذَا وَقَعَتْ عَلى أَكْبَادِنَا كَانَتْ لَنَا بَرْدًا عَلى الأَكْبَادِ
وَتَظَلّ رَابِطَةً تُؤَلِّفُ بَيْنَنَا الرّجَاءُ لِنَاطِقٍ بِالضَـادِ
" الشاعر حليم دموس "

الملخص :

تشغل الصعوبات التي تواجه متعلمي اللغة العربية من الناشئة في المدرسة الجزائرية اهتمامات اللغويين والتربويين ، وتحرص هذه الهيئات العلمية والمشرفة على تمدرس وتعلّم الناشئة ، على إيجاد حلول للتخلص من هذا النفور نحو اللغة العربية ، وتقريب اللغة العربية إلى عقول وقلوب ونفوس المتعلمين ، ولعلّ ما يدعوا إلى المرارة في هذا المجال هو ذلك الحرص العاطفي الأعمى الذي تظهره حفنة من علماء اللغة العربية إلى حد إحاطتها بهالة من القدسية بحجة أنها لغة القرآن الكريم ، والتصدي لكل محاولة تروم إصلاح اللغة العربية وترويضها ؛ لتكون أيسر فهما وإدراكا للأطفال .

وسنحاول في هذه الورقة البحثية إبراز ما يواجه الناشئة من صعوبات أثناء تعلمهم للغتهم الأم ، ثم نعمد إلى وضع تصورات وحلول من شأنها أن تسهم في جعل اللغة العربية مرافقة في سلاسة ومرونة لتعلّم الناشئة ، واكتساب الأصول والقواعد لتطوير هذه اللغة ، حتى لا تبقى موصوفة بالجمود والتعقيد وعدم مواكبة التطور الحضاري ، فتكون اللغة العربية موضوعة أمام الأطفال لغة الفكر والعلم والثقافة والفهم وواضحة المعالم في يسر ، يتلقفها المتعلم دون تعقيدات الماضي ولا ميوعة الحاضر ؛ لأنّ واقع تعليم وتوظيف اللغة العربية والإقبال عليها واستيعابها من لدن الأطفال المتعلمين يحتاج إلى مهارات وأداء وتقانة وبرامج ومناهج تتلاءم وتغييرات العصر وطبيعة الطفل العربي عامة والجزائري خاصة .

Résumé :

Les difficultés rencontrées lors de l'apprentissage de la langue arabe dans l'école algérienne intéressent les linguistiques et les pédagogues, et ces instances scientifiques et les superviseurs de la scolarisation et l'enseignement des enfants veillent à trouver des solutions pour éliminer cette aversion vers la langue arabe, et la rapprocher des esprits et des cœurs des apprenants, mais ce qui pousse à l'amertume c'est cette tendance de certains linguistes arabes à l'entourer d'un halo de divinité, sous prétexte qu'elle est la langue du coran, ils vont jusqu'à faire face à toute tentative de réformer la langue arabe ou de la dompter ; pour qu'elle soit plus facile à comprendre et concevoir pour les enfants.

Nous allons essayer dans cet article nous allons illustrer les difficultés que rencontrent les enfants dans l'apprentissage de leur langue maternelle, puis nous mettrons des perceptions et solutions qui pourrons contribuer à ce que la langue arabe soit plus flexible pour les apprenants, dans l'acquisition des actifs et des règles pour développer cette langue, pour qu'elle ne soit plus traitée d'inertie et complexité et de ne pas suivre le cours du développement civilisationnel, de ce fait la langue arabe langue de pensée, de science, de culture et de la compréhension sera présentée aux jeunes apprenants en toute clarté et facilité, car la réalité de l'enseignement et de l'utilisation de la langue arabe et son assimilation par les jeunes apprenants a besoin de compétences, de performances, de technologie, de programmes et de méthodologies qui s'adaptent avec les changements de l'ère et la nature de l'enfant arabe en général, et l'enfant algérien en particulier.

واقع تعليم اللغة العربية في المدرسة الجزائرية :

لا شك أنّ المدرسة الجزائرية حديثة العهد بالنظريات التربوية ، فعمر المدرسة الجزائرية إذا ما تم مقارنته بالدول العريقة في مجال التعليم الحديث قصير ، ففترة ما بعد الاستقلال تشهد بداية التأسيس لهذه المدرسة الفتية التي عرفت مراحل متباينة في مجال التربية والتعليم ، وكل مرحلة استدعتها ظروف سياسية واجتماعية واقتصادية خاصة ، ولكن يبقى من كل هذا الإشارة إلى تلك المعاناة والدهاليز المظلمة التي عقبت خروج المدرسة الجزائرية المستقلة إلى النور ، وهي معاناة ولدت من رحم التجاذبات بين العديد من الأطراف وأولها تركة الاستعمار ومخلفاته اللغوية على الفرد الجزائري ، ثم انعدام نخبة إلى حد ما تمتلك العصبية لمقومات الأمة ، فنشأت المدرسة الجزائرية غريبة الوجه واليد واللسان عن مؤسسات المجتمع ؛ لأنّ اللغة العربية التي تم تعميمها على كافة العلوم والمواد التعليمية في المدرسة الجزائرية في مرحلة من تطورها لم تواكب روح العصر ، ولم تنل حظوتها في المجتمع ولم تخطوا الخطوات الثقافية والفكرية التي كانت منتظرة على يد من رفعوا لواء التعريب ، والتمكين للغة العربية ، فارتدت على عاقبيها ، وارتفعت بعدها الأصوات تنادي برفع التحدي لتتبوأ اللغة العربية مكانتها ، وتسلك طريقها ، وتأخذ نصيبها في الاستعمال والتوظيف المناسبين لها.

وإنّ محاولة ربط الصلة بين اللغة العربية والمدرسة الجزائرية هي محاولة الكشف عن المناهج التعليمية والبرنامج الدراسي وطرائق التدريس والنصوص المقترحة والمعلمين المختارين لتعليم اللغة العربية بدءا بالناشئة التي ستتضح لها مقومات هذه اللغة وتقبل عليها اقبال الظامئ على الماء ، وتنهل من بحرها الواسع وتربط بينها وبين اللغة العربية علاقة الروح بالجسد ، وعلاقة الانتماء بالهوية الوطنية ، وعلاقة التاريخ بالماضي والحاضر ، فإنّ تردي الوضع اللغوي للغة العربية لا يحتمل ترقيعا أو تلبيسا أو شعارات جوفاء لا تغني عن توفير التحصين المناسب للرقي بها ، فالبرغماتية اللغوية التي نادى بها الدكتور صالح بلعيد من شأنها أن ترمم الوضعي المزري للغة العربية وتقودها نحو التفعيل الوظيفي لها « لا يمكن أن تعالج هذه المعوقات بالترميم الثقافي ، وغياب الحرية الأكاديمية ، أو الممارسة الديمقراطية في الأنساق التعليمية . تلك صعوبات يجب أن تتدارك في هذا الوقت ، والأحرى مراجعة بعض المسلمات أو الطابوهات ، ويصاحب هذا الترخيص لبعض المستعمل في اللغة ، وترقية الكلام الدارج القريب من الفصيح والمشترك . وبهذا يمكن للغة العربية امتلاك سلاح المعلومات للصدّ أو الوقوف في وجه هذه المضايقات والتغيّرات والثقافات العالمية ، ولن يحصل هذا التمني ما لم ننطلق من الواقع وننظر في موقع اللغة العربية بين اللغات العالمية ، مع الإفادة الكاملة من التقنيات الحديثة ورسم ملامح المستقبل في ضوء التجارب المحلية والقومية والعالمية .»[i]، فمراجعة الخطاب الداعم للغة العربية يجب مراجعته ، وإعادة النظر في ذلك الحماس القاتل وغير المفيد الذي يتعصب للغة العربية دون دراية ومعرفة بالواقع اللغوي وروافده المحيط بالمدرسة الجزائرية ، والحرص على المناوشة والمناوأة لن تجدي نفعا ، بل النظرة التربوية الشاملة ودراسة الواقع دراسة متأنية وامتلاك روح المسئولية نحو اللغة العربية لتعيد لها هيبتها وتواجدها ، ذلك هو الأمل المنشود ، فقد أصبح الحنين في جزائر الاستقلال حتى إلى الكلام الدارج على نحو ما أشار الدكتور صالح بلعيد ، ذلك الكلام الذي بدأ يتلاشى ويضيع وأصبح أثرا مدروسا ، وهو ما نأمل في إعادته والمراهنة عليه لتبقى اللغة العربية حية في نفوس مستعمليها ، فما لا يدرك كله لا يهمل جله كما يقال .

صعوبات تعلم اللغة العربية لدى الناشئة :

إنّ الحديث عن الناشئة في المدرسة الجزائرية في تعلّم اللغة العربية هو حديث عن البذور الأولى التي تتلقف العربية دون أن تعي أهمية هذه اللغة ومكانتها وصلتها بشخصيته وبهويته وبوجوده ، فالناشئة هي الرّحم الأولى في احتضان اللسان العربي سليما صحيحا ، والمدرسة ومشروعها التعليمي هو الوصفة المؤكلة بتحصين الناشئة في لسانهم ، ومع التدني الحاصل لدى هؤلاء

الناشئة في اكتساب اللغة العربية ، لابد من الكشف عن الصعوبات والمشاكل التي تعترض هؤلاء في التمكن من اللغة العربية نطقا وأداء ورسما وتوظيفا وفكرا ، فإنّه يستدعي الأمر الوقوف عند تلك الصعوبات المختلفة التي تواجه المتعلمين بدءً بما تحمله اللغة العربية في جوهرها ، ثم بما يحمله المنهاج من تعسفات والبرنامج المخصص لتعليم العربية من تشوهات ، وانتهاءً بعقبات المشرفين على اللغة العربية وابتعادهم عن الفحص الدقيق في معالجة المشكلة ، فتجتمع العديد من المشاكل في تعلّم اللغة العربية واكتسابها لدى الناشئة ، و إنّ تشخيص حالة وضعية اللغة العربية لدى الناشئة يستدعي الوقوف عند العوائق التي تعمل على تدهور ما يلحق المتعلمين من تمكنهم من اللغة العربية .

طبيعة اللغة العربية :

اللغة العربية لغة عريقة وثرية وخصبة وحاملة للحضارة وللفكر الإنساني ، وقطعت عمرا طويلا من الوجود والعطاء ، استوعبت ثقافات ونقل الغرب منها إلى لغاته ، فلم تنضب مفرداتها ولم تعجز عن التعبير عن أدق العلوم ، وما الوهن الذي يمسها اليوم إلا نتيجة لوهن أصحابها وتخلفهم عن الرّكب الحضاري ، فقد قال عنها المستشرق الفرنسي رينان « العربية نبتت فجأة في غاية من الدقة والكمال سلسة أي سلاسة ، غنية كاملة بحيث لم يدخل عليها منذ ذلك العمر إلى يومنا هذا أي تعديل مهم ، فهي لغة لا طفولة لها ولا شيخوخة »[ii] فهذه اللغة التي تحمل صفات الديمومة والاستمرار في طبيعتها ، تجد اليوم من لا يحسن استخدامها وتقديمها بالصورة العلمية والتعليمية لأبنائها ، فإذا كانت اللغة العربية تختزل مجدا أثيلا وصنيعا لا ينسى في تاريخ الإنسانية ، فإنّها تبتعد عن روحها السخية التي بوأتها تلك المكانة بسبب الحيف الذي لحقها ، وتجاهل طبيعتها التي تميّزها عن باقي اللغات ؛ لذلك أمكانية إعادة النظر في تعليمها وتعلمها يحتاج إلى معرفة بسجيتها الفطرية ، وبرسمها الذي يتجمل بتنوعه ، وكل هذا من شأنه أن يقف عائقا في بداية تعلمه وتعلم اللغة العربية ، ممّا يحذو بنا أن نشير إلى هذه الصعوبات التي تزامن الطفل في المدرسة الجزائرية ، ويجد نفسه تحت طائل هذه التعقيدات الطبيعية في اللغة العربية

تعسف الخط العربي :

لا يختلف اثنان في جمالية الخط العربي ، فهو خط يشكل هندسة كتابية جميلة ، ولوحات فنية بديعة ، ورسمه البديع تحوّل إلى ممارسة يمارسها الرّسامون ، ويزينون بها المعمار الاسلامي ؛ ليخط الخط العربي رحلة الابداع عبر تاريخه ، بتنوعه وتلونه وتشكله وتعدد أشكاله ، « إذ تتميز الكتابة العربية بكونها متصلة ، مما يجعلها قابلة لاكتساب أشكال هندسية مختلفة من خلال المد والاسترجاع والاستدارة والتزوية والتشابك والتداخل والتركيب ، كما يقترن فن الخط بالزخرفة العربية " أرابيسك " حيث يستعمل لتزيين المساجد والقصور ، كما أنه يستعمل في تزيين المخطوطات والكتب ، خاصة عند نسخ القرآن الكريم ، وقد شهد هذا المجال إقبالا من الفنانين المسلمين ، بسبب نهي الشريعة عن رسم البشر والحيوان ، خاصة فيما يتصل بالأماكن المقدسة والمصاحف. »[iii]، فهذه المميزات الجمالية ارتقت بالخط العربي وسمت به ، وجعلته يتبوأ الصورة الشكلية الزاهرة .

غير أنّ طبيعته الفنية المتغيّرة هذه من شأنها أن تكون عائقا لدى المتعلمين للقراءة ؛ إذ « تعترض الأطفال عند تعلمهم مبادئ اللغة العربية ، تغيّر شكل الحرف الأبجدي بين موضع وآخر حسب وروده في الكلمة ؛ فحرف العين مثلا يعرف الأشكال التالية في الكتابة ، (ع في زرع) ، و(ـعـ في صعق) ، و(ـــع في الهلع) ، وهذه الظاهرة قلّما تقع عليها في اللغات الأجنبية غير السامية التي يحافظ الحرف فيها على شكل واحد أينما وقع »[iv]؛ لأنّ الصورة المرئية لشكل الخط العربي من شأنها أن تشتت ذهن المتعلم ، فوضع خط يلتزم به القائمون على تعليم الناشئة في بداية عهدهم من تعليم اللغة العربية سيساعد المتعلمين على إدراك اللغة في يسر وسهولة وبساطة دون تعقيد ، مع التدرّج في تنويع الخط عبر حصص التعليم المخصصة لهؤلاء الناشئة .

فالكتابة عنصر من عناصر التعلم ، فإذا ما اختلت الكتابة لدى المتعلم رضع بداية تعليمية ناقصة ومشوهة ، فهو يحتاج إلى المران والتدريب والتمرّس على تعلم رسم الخط العربي « وترجع رداءة الخط في الكتابة إلى اكتساب العادات غير الصالحة منذ التدريبات الأولى ، ثم تستقرّ الممارسة وتقدم الزمن »[v] ، فهذا التدريب المشوه هو نتيجة طبيعية لعدم اتقان المتعلم لرسم واحد من رسوم حروف اللغة العربية ، وتكثيف تنويع الخط في الكلمات على نحو ما أشرنا سابقا ، وتقديم التمارين الكتابية وتكراره من شأنه أن يساعد الطفل المتعلم على تحسين خطه وإدراكه قراءة وكتابة .

المتعلم بين القراءة والفهم :

فحلول العين محل الأذن في تعلم اللغة واكتسابها يحدث خللا تعاني منه اللغة العربية ، وسبب هذا الخلل أنّ طريقة الكتابة العربية معيبة لاكتفائها بتمثيل السواكن دون الحركات ، مما يجعل القارئ الذي يتلقى الكلمة لأول مرة عن طريق العين يتصرف في كيفية نطقها بالشكل الذي يراه ، وتختلف صور التصرف بالطبع من شخص إلى شخص مما أدى إلى نوع من الفوضى في نطق الكلمات العربية لا نكاد نراه في لغة أخرى .[vi] ، و« إنّ القواعد الوظيفية هي تلك القواعد التي تسهم في تحقيق المهارات الأربعة وهي فهم ما نسمع ، وفهم ما نقرأ ، وإفهام الآخرين ما نكتب وما نتكلم ؛ أي أنها تلك القواعد ذات الفائدة العلمية التطبيقية ، أو ما يمكن أن يسمى بالقواعد الوظيفية فهذه القواعد وسيلة وليست غاية .»[vii]

إنّ اللغة العربية المكتوبة تفتقر إلى حروف صائتة تنوب عن الحركات (الضمة ، الفتحة ، الكسرة) ؛ لأنّ اقتصارها على الحروف الصامتة فقط من شأنه أن يطرح أمام القارئ مشكلة ما سماه عبد الله العلايلي " القراءة في اللغة " ، فاللغات الأوروبية على سبيل المثال تعتمد على ما يسمى أحرف العلة (a e i o u y) الموجودة بين حروف كل لفظة في تحديد كيفية لفظ كل كلمة ، أما اللغة العربية فإن لم يكن كاتب النص تولّى وضع الحركات حول حروف الكلمة ، فإنّ القراءة تغدو عملية شاقة تحتاج إلى إعمال فكر وطول أناة لفهم موقع المفردة في الجملة من ناحية الإعراب وتحديد حركتها المناسبة ، ولعلّ هذا الأمر حمل قاسم أمين (ت 1908) على القول إننا نحن العرب ينبغي لنا أن نفهم أولا ثم نقرأ ، وهو نقيض الغاية المألوفة من القراءة التي نبدأ بها لنفهم ما تنطوي عليه من معان وصور .[viii]

تعقيدات الدرس النحوي :

لقد تحول النحو العربي إلى حالة من التعارك بين المحافظين والمجددين ، بين من يرون فيه المعيار الذي تعيش وتحيا به العربية ، وبين من يرى فيه بأنّه وسيلة في العربية وليس غاية ، والمعركة هذه ليست وليدة اليوم فحتى القدامى شابهم هذا الصراع ؛ بعدما تحوّل النحو العربي إلى فلسفة ومنطق يتحذلق بعضهم في ممارسته وتناوله ، ولم يعد النحو التعليمي الذي يحفظ اللسان من الزلل والخطأ واللحن ، فتكبيل اللغة بالقيود الصارمة للنحو هو من دواعي المزايدة على اللغة العربية « فيخطئ من يظن أن العلاج لمشكلة اللغة الأداة يكون بزيادة دروس النحو وإعطاء الدارس جرعات إضافية من القواعد ، أو يكون باختصار قواعد النحو وتلخيصها ، وقد عالج ابن خلدون بأصالة وعمق هذه المشكلة حين قرر أن المطولات النحوية لا حاجة إليها في التعليم وأن متون النحو ومختصراته مخلة بالتعليم ، والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها الخاصة ، فهو علم بكيفية لا نفس كيفية .»[ix] ، وإنما هو توظيف غير مناسب لتمارين النحو نحو الناشئة في بدايات تعلمهم للغة العربية والإقبال عليها .

فتعدد الجموع في اللغة العربية للمفردة الواحدة ممّا يجعل الطفل المتعلم يتشتت ذهنه بين هذه الجموع للمفردة الواحدة أما المشكلة الأخرى التي تواجه متلقن اللغة العربية فهي مشكلة التذكير والتأنيث ولاسيما في المفردات التي لا تحمل علامة التأنيث المتعارف عليها " التاء المربوطة ، الألف الممدودة المتبوعة بهمزة ، الألف المقصورة " ، ناهيك بما يعرف بالمؤنث

المعنوي " مريم ، هند " ، والتذكير المعنوي " عكرمة ، معاوية " أضف إلى ذلك وجود مفردات تحتمل الوجهين ، ولم يقطع القدامى في تصنيفها مذكرة أم مؤنثة بل أجازو فيها الوجهين ،كقولنا هذا الطريق وهذه الطريق ، هذا العنق وهذه العنق ، والأمثلة عديدة على ذلك ، أما في حقول مادة القواعد العربية فأول ما يطالعنا من صعوبات مسألة العدد والمعدود في حالتي التذكير والتأنيث وما يرافقها من أحكام تتناول العدد المفرد والعدد المركب والعدد المعطوف والعقود وتوزع هذه الاعداد بين العدد الأصلي والعدد الترتيبي ، في حين أننا نقع على صيغة واحدة مع المذكر والمؤنث في اللغات الأجنبية ، كذلك ما يدعو للأسف هو إصرار واضعي المناهج التربوية على إقحام دروس عسيرة الفهم على المتعلم كدرسي التنازع والاشتغال .[x]

تعليم الفصيح لا البليغ :

إنّ القصد بتعليم الفصيح لا البليغ هو تعليم اللغة العربية في مجالها التواصلي بين الأفراد ؛ أي استقامة اللسان في التعبير عن حاجياته ورغباته وتكاليف الحياة « واللغة ــ في شتى العصور واللغات ــ هي دائما أداة ، إنها وسيلة لا غاية ، حتى إذا نظرنا إليها من منطلق البلاغة والفصاحة ــ قبل أن يغضب أحدهم ــ فإنّ البلاغة أداة لحسن التعبير ، وإتقان توصيل الفكرة أو العقيدة ، وهذه هي بلاغة عصور النهضة ، في حين كانت البلاغة ، تصبح هدفا في حد ذاتها ، في عصور الانحطاط ، فحين يتبارى الناس في اللغة من أجل اللغة ، معناه إفلاس في الفكر والعلم اللذين خلقت اللغة كأداة لتوصيلها »[xi] ، فاللغة العربية في تطورها ومسارها التاريخي ارتبطت بما هو فصيح ، في النصوص وكلام العرب ، فالحذلقة اللغوية ، وتتبع الغريب

المتعلم والثنائية اللغوية :

مجاورة اللغة العربية الفصيحة والراقية للهجات لم يكن بالشيئ غير المألوف ، أو المستهجن والقبيح ولم يحد من تمدد اللغة العربية الفصيحة ، وإنّ محاولة إلغاء اللهجات سيصبح ضربا من المستحيل ، وقد « اختلف الباحثون حول مستقبل " الثنائية اللغوية " في الوطن العربي ؛ فبعضهم يرى بأنّ اللغة الفصحى سوف تغلب العامية ، وسوف تستخدم بشكل عام حتى خارج المعاملات الرسمية ، وذلك بزيادة المادة الصوتية الفصيحة التي يتم الاستماع إليها يوميا ، بالإضافة إلى الرسوم المتحركة التي سوف تساعد الأطفال على تعلم الفصحى قبل دخول المدرسة ، وهناك اقتراحات حول تسهيل الفصحى لتسهيل تعلمها ، بينما يرى آخرون أنّ اللهجات العامية ؛ سوف تتطور ، أو ستندمج في لهجة عربية واحدة ؛ وبهذا تشكل معا لغة عربية واحدة كالفصحى .»[xii]، فالتلاقح بين العامية واللغة االفصيحة لا يعدّ من الشوائب والعيوب التي تعيق تطور اللغة العربية ، ولا يعلل به جمود اللغة العربية ، فيرهن مستقبلها ، وإنّ وجود ثنائية لغوية ركناها الفصحى والعامية أمر مألوف في كل لغات الشعوب ، فكثيرا ما تكون العامية من أُصول العربية وقريبة منها ، ودور المدرسة تقليص حجم العامية واستثمار الفصيح ونشره بين المتعلمين .

الحلول المقترحة :

إنّ التعصب للغة العربية لن يفيد شيئا ، إذا لم يكن فيه نفير وتشمير ينبئ عن ثورة علمية معرفية لغوية خالصة للغة العربي ، فالأصوليون اللغويون لن يستطيعوا النهوض باللغة العربية ، وستبقى رهينة في أيديهم وتقبع في حلقة التضييق والجمود ، ولن تعبّد لها الطريق نحو مواكبة العصر؛ لتكون اللغة العربية نديّة طريّة سلسلة تزاحم اللغات العالمية وتساير روح العصر وتتلاحم مع التكنولوجيا الحديثة ، « واللغة العربية مهدّدة قبل العولمة وبعدها ، ولأسباب كثيرة ، والتباكي والنحيب لن يغنياها شيئا ؛ لأنّ اللغات إنما تقوى بقوة أهلها حضاريا وإعلاميا ، وتضعف وتضمحل بضعف أهلها واضمحلال لسانهم الحضاري في العالم ، وللراصد أن يقف على جملة من الظواهر ذات الأثر السلبيّ على مستقبل اللغة العربية ، والمدعومة بالإعلام العربيّ ووسائل الاتصال الحديثة .»[xiii] ، لذلك محاولة تخشيب اللغة العربية سينتهك قانون تطورها ، ويحرمها ممّا قدّمته في سابق

عصورها الزاهرة ؛ ولأنّ اللغة العربية هي الوحيدة ، من بين جميع اللغات الحية التي لم تحظ بعد بإصلاح لغوي حقيقي ، ينقلها من القدامة إلى الحداثة اللغوية [xiv] ، وخاصة في مدارسنا التي مازالت تئن تحت التعليم التقليدي ، وإن كانت تنشد التغيير وتكرّسه نصوصا ، فإنّها مازالت ترفل في ثوب الترقيع التعليمي للغة العربية ، فالحلول كثيرة ومجالها يستدعي توفير النيات والسبل والإرادة وروح التغيير الخلاّقة والاستفادة من كل ما أفرزته العلوم الإنسانية والنظريات التربوية الحديثة .

استثمار الدرس الدرس اللساني الحديث :

إنّ علم الألسنية جعل البحث اللغوي أكثر إثارة وتشويقا وإتقان اللغة عند علماء الألسنية يتعزز بالمراس والتجربة ، وتكاد النظريات الحديثة التي اهتمت بالدرس اللساني الحديث وخاصة العربية منها ، تجمع على ضرورة اعتماد اللغة العربية الفصحى من جانب المعلمين في المواد التي تدرّس باللغة العربية ، ومنذ المراحل الأولى من حياة الطفل في المدرسية ، على أن تكون اللغة المستعملة في كل مرحلة بسيطة ، تتوافق مع المستوى الذهني الذي يملكه المتعلم ، ومتدرجة في الارتقاء من المحسوس إلى المعنوي ، والإكثار من مجالات اعتماد الفصحى ، قد يكون من الوسائل الناجعة للحد من غلواء مشكلة الثنائية اللغوية التي يعانيها الأطفال من جراء تلازم العامية والفصحى في دائرة استعماله اليومي ، واقتراح الفصحى لغة للمسرح والسينما والتلفاز ، ولا سيما في البرامج الموجهة إلى الأطفال الصغار الذين يعتمدون إلى حد بعيد على السماع في تكوين حافظاتهم اللغوية ، يعدّ إلى حد ما حلا موفقا [xv]

تيسير النحو العربي :

إنّ تيسير القواعد النحوية أصبح واقعا لغويا لدى اللغويين العرب ، وليس التيسير التنكر لهذا الصرح المعرفي الذي اجتهد فيه العلماء قديما وحديثا ؛ ليتم الاستغناء عنه أو تجاوزه أو الالقاء به في دائرة النسيان ، وإنما المراد من التيسير النحوي اخضاعه لراهن اللغة العربية وعلاقتها بالعصر وبالمنتسبين لها ، وهي محاولة جادة قامت بها اللسانيات الحديثة ؛ لتوظيف الجانب العلمي التعليمي في الدرس النحوي الحديث ، واستغلال التمارين البنيوية يكون « لتدريب المتعلّم بمهام معيّنة ، ويكون موضوعها منصبا في الغالب على التطبيق والمعالجة وهي أداة فعالة في الخطاب المدرسي ، خاصة في تثبيت البنيات النّحوية ، تسمح باكتساب عادات لغوية جديدة وتؤدي بالضرورة إلى تألية Automatisation ردود أفعال كافية لجعل مجهود من يتكلم قادرا على الارتكاز على تواصل فكره ، والتمارين البنيوية هي تلك التي تعتمد مادة القواعد ، وتستعمل المقاربات الوصفية التصنيفية في تدريس اللغات ؛ حيث تنطلق من مبدأ تمهير المتعلّم على استعمال مكثّف للغة ، وتثبيت السلوكات اللغوية بخلق آليات للاستعمال المألوف ، وتتضمن مجموعة المواضيع الصرفية والنّحوية والمعجمية ، ولقد أخذت صورا متنوعة . »[xvi]، فالدرس اللساني الحديث يخفف من وطأة وعثاء الدرس النحوي ، ويجعل اللغة العربية أكثر طواعية ويسعى بها بخطى حثيثة إلى التقبل والقابلية للعصر ولطبيعة المتعلم ، والتمرين البنيوي الحديث الذي ولد من رحم اللسانيات الحديثة والذي ينادي به اللغويون في تعلّم المستويات اللغوية يعتمد على : الإعادة والتكرار ، وتمارين التحويل ، والتدريب على الربط والتوسع ، وتبديل وتغيير المحور التركيبي والتدريب على تغيير التسلسل الكلامي والتدريب على التمارين الحوارية الموجّهة وله من الفوائد ما يجعله صالحا لتعلم اللغة الأم وحتى اللغة الثانية واللغات الأجنبية .[xvii]

تفعيل فعل القراءة لدى الناشئة :

إنّ القراءة أساس كل عملية تعليمية للمواد الدراسية جميعها وربما كان الضعف الدراسي في القراءة سببا للإخفاق في المواد الدراسية الأخرى أو في الحياة ذاتها ؛ إذ إنها تمد المتعلمين بالمعلومات التي تساعد على تنمية ميولهم وحل الكثير من مشكلاتهم ورفع مستوى فهمهم للمسائل الاجتماعية ، وإثارة روح النقد وتوفير فرص الاستماع والتسلية ، وتساعد المتعلمين

في الاعداد العلمي والتوافق الشخصي والاجتماعي ..، إنّ فهم النص المقروء هو الهدف الأساس من عمليات القراءة ، فتكون القراءة ترتبط بالتفكير وتتجاوز النظر إلى النصوص وتحرك العيون على المادة المكتوبة ، وتتطلب عمليات عقلية متعددة كالفهم والاستيعاب والاستبقاء والاستدعاء والتطبيق [xviii]، فالقراءة تمنح المتعلم القدرة على تمييز الرموز الصوتية ، وتنشط الفكر ، ويحصل قدرا كبيرا من الألفاظ ؛ ممّا يعطيه رافدا لغويا يستعين به أثناء التواصل أو التعبير .

وسائط الحديثة لتعلم العربية واكتسابها :

اختلفت وتنوعت وسائل التلقي في العصر الحديث ؛ ممّا يعطي مساحة أكبر في توظيف اللغة العربية واستعمالها استعمالا إيجابيا يحقق شغف المتعلم ويثري رصيده اللغوي في متعة ويسر ، فالتحكم في الوسائط الحديثة لدى المعلم والمتعلم أصبح ضرورة وتوفيرها فمدارس من أبجديات التربية والتعليم وخلق المسرح والإذاعة المدرسية ، وتحويل تعليم اللغة العربية إلى ورشة تفاعلية بين المتعلمين سيتيح للمتعلمين القدرة الذهنية على لفظ الحروف بشكل سليم ، ويطلعه على مخارجها التي لابد من الإحاطة بها من جانب كل مقدم على تعلّم اللغة ، وقد قطع علماء اللغة في الغرب أشواطا بعيدة في هذا المضمار ، ووضعوا نظريات تربوية استنبطوها من خلال تجاربهم الطويلة واعتمادهم على نظريات علم النفس التربوي الذي يدور حول مرحلة الطفولة وبوسع علماء اللغة أن يترسموا خطى أولئك العلماء ويستعينوا بخبراتهم الطويلة ، بغية اعتماد منهج حديث وناجح في تلقين الأطفال أصول لغتهم وتقريب هذه اللغة من قلوبهم التي تنفر من تعقيداتها .[xix]

وحتى تندمج اللغة العربية في التطور العلمي والمعرفي ، في ظل العولمة وتحديات العصر فالطفل يندمج مع الوسائط الحديثة في توظيف واستعمال اللغة العربية ، ويجب أن يصاحب استعمال اللغة في المجتمع بالإطراء والاستحسان لا السخرية والازدراء ويجب أن تساعد وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة على تشجيع المتعلمين ماديا ومعنويا ، فاللغة العربية تحيا بالاستعمال وتموت بالإهمال .

تنويع طرائق التعلّم :

إنّ المعلم لا يكون عبدا لطريقته ، فتنويع الطرائق سيكون عاملا مفيدا له وللمتعلمين ، وسيمنح للمعلم فرص التعزيز والاكتشاف ، ويقويّ مجال التعلّم لدى الناشئة ، فتصبح اللغة مهارة ولعبة وفسحة ووظيفة ، فيصعب الاعتماد على طريقة واحدة في اكتساب اللغة ، فجلّ النظريات التي عملت على نشاط التعلم للغات ، كانت حريصة على الاستفادة من كل ما شأنه يستفاد منه في اكتساب اللغة ، وتكون فرص التعلم واكتساب اللغة وفيرة لدى الناشئة ؛ لكي يتم تمنية مكتسباته اللغوية وألا يكون تأخرا وتجاوزا في الاعتماد على طريقة واحدة ، تحدّ من قدرات الفهم والتمرّس على تعلّم اللغة ، فالهدف من تعلّم اللغة أيّ لغة مهما كانت هو غرس التواصل اللغوي فتشجيع المتعلمين على استعمال اللغة العربية مع الأقران والمدرسين وفي الشارع ومختلف المواقف الحياتية حيثما أمكن ، وهذا بتنويع طرائق التعليم التربوية المختلفة في إنجاز الدرس اللغوي للمتعلمين ، وذلك باستخدام التعلم النشط الذي يغطي الفروق الفردية ويحقق الأهداف النوعية ومن الأنشطة التي تساعد على التعلم النشط : انجاز المشروعات ، العمل الميداني ، التعلم على حل المشكلات ، المناقشات ، عرض الأفلام ، المحاضرات ، وهو تعلم يراعي حالات المتعلمين نحو الاصغاء لهم ، ويشجع المناقشة المفتوحة ممّا يساعد على تعلم اللغة العربية بعفوية وتلقائية ومن الطرائق الاهتمام بالألعاب اللغوية وهي طريقة تهدف إلى الاستماع وفهم المعلومات ولها دور بارز في تعلم واكتساب اللغة ومهاراتها المختلفة وتشجع على استخدام اللغة بشكل مبدع وفطري وإثرائي وتخفف من رتابة الدروس اللغوية وقد تعتمد على المشافهة والمكتوب .[xx]، فتنويع طرائق التعلّم لدى الناشئة يخدم المعلم والمتعلم ويساعد على التمكين للغة العربية ، وهذه الطرائق تحصر المهارات التعلّمية للغة العربية في[xxi] :

– التدرج في تقديم المهارات اللغوية

– العمل على تكوين المهارات اللغوية لدى المتعلمين بطريقة الممارسة والتكرار ، على أن تكون الممارسة مبنية على الفهم

– اعتماد التعزيز الايجابي في العملية التعلمية التعليمية .

– إغناء البيئة التعليمية بالمثيرات والتقنيات والوسائل المعينة .

– وجوب كون المعلمين قدوة أمام المتعلمين في محبة القراءة وغرس الشغف بها في نفوسهم .

– الانطلاق من لغة المتعلمين وخبراتهم في العملية التعلمية التعليمية بغية ردم الهوة بين العامية والفصيحة .

الترغيب في استعمال اللغة العربية :

تحبيب اللغة العربية إلى نفوس المتعلمين يستدعي مهارة لدى المعلم في التأثير ، اختيار النصوص والموضوعات بما فيها تلك الجمل التي لا تنفر المتعلم ؛ وإنّ أيّ منهج لتعليم اللغة العربية يجب أن يشمل العناصر المشتركة في العملية التعليمية ونعني بهذه العناصر ما يعرفه علماء التربية من (عناصر انفعالية ، ونفسية ، ومعرفية عقلية ، وتجريبية واجتماعية ، عامة) ..؛ وتزويد المتعلم بما يصلح لسانه وقلمه وإثارة الرغبة لديه ؛ ليخلص الطفل المتعلم للغة العربية ويحبها [xxii] ؛ ولا شك أنّ أخذ الطفل منذ بداية تعلمه ارتباطه باللغة الوجدانية ، لغة المشاعر والإحساس من أبرز ما يجب أن يركز عليه تعليم اللغة ، فالمتعلم في بداية عهده بإمكانه الشعور بقدرة الكلمة على التصوير والإبداع ، وبقدرتها في إبراز مكنون النفس ، وما يعتمل فيها من انفعالات وعواطف .[xxiii] ، فالنصوص الشعرية القصيرة التي تفعّل وجدان المتعلم ، من شأنها أن تربي الطفل المتعلم على حب اللغة العربية ، ويكون قادرا على حفظها واستيعابها ؛ ليحصل على الملكة اللغوية ، « وقد تنبه المسلمون ــ منذ وقت مبكر ــ إلى هذه الحقيقة ؛ حقيقة تأثير اللغة بألفاظها لذا ، حرصوا على تسمية المواليد بالأسماء الحسنة ، بل دعوا إلى تغيير الاسم غير الحسن إلى اسم حسن ، حتى ولو كان صاحبه عرف به ، والسبب أنّ الأسماء ليست كلمات جوفاء ، فاللغة عموما وعاء القيم الثقافية التي تعيشها الأمة .»[xxiv] ، فالتحفيز اللغوي من ضرورات الإقبال على اللغة العربية ، فيتمثل الطفل المتعلم اللغة روحا وكيانا وانتماءً وهوية ولسانا .

خاتمة

إنّ الصعوبات التي تواجه اللغة العربية ليست قدرا ، فقد مرّت بالكثير من المحن ، ومن الضربات التي أوجعتها دون أن تسلبها وجودها وبقاءها وصيرورتها ، فلقد ظل الاستعمار يناوش اللغة العربية ، ويعمد على التهوين منها والتقليل من شأنها ، وإحباط مستعمليها ولكنها ظلت راسخة رسوخ عراقتها وروحها الفكرية والحضارية ، وظلت بعض الأصوات ومازالت تنادي بإحلال العامية مكان اللغة العربية واستبدال حرفها العربي بالحروف اللاتينية ، وذلك كله يعدّ من الفشل الذريع ، والبؤس اللغوي لدى هؤلاء ؛ لأنّ اللغة العربية تحمل مقومات اللغة التي بإمكانها الصمود والتحدي ورفع لواءها الحضاري من جديد ، وهذه الورقة البحثية التي وقفت عند بعض المشاكل اللغوية التي تعترض الناشئة في تعلّم اللغة العربية وعرّجت على بعض الحلول ، ليست سوى محاولة لإماطة اللثام عن واقع اللغة العربية في المدرسة الجزائرية خاصة والعربية منها عامة ، فاللغة العربية مسؤولية كل من اتخذ من نطق الضاد لسانا له ، وتطويرها والدفع بالاقتراحات والحلول العلمية هو الغاية المرجوة ؛ لكي تتجدد اللغة العربية وتسمو وترقى وتنبعث من جديد وتفصح عن مكنوناتها التي تحملها حتى لا تتخلف عن الرّكب الحضاري

الهوامش :

[i] – صالح بلعيد : مقاربات منهجية ، دار هومة ، الجزائر ، (د.ر.ط) ، 2004م ، ص 5 .

[ii] – حسن حسين : الاشتقاق في اللغة العربية ، ، مجلة المنطلق ، العدد الثامن والسبعون والتاسع والسبعون ، ذو القعدة ـ ذو الحجة 1411هـ / أيار ـ حزيران 1991م ، ص 9 .

[iii] – محمد عبد الشافي القوصي : عبقرية اللغة العربية ، منشورات المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة ، إيسسكو ، الرباط ، المغرب ، (د.ر.ط) ، 1437هـ / 2016م ، ص 45 .

[iv] – عاطف جميل عوّاد : مشاكل الناشئة مع اللغة العربية الفصحى وتصوّرات حلول لها ، مجلة المنطلق ، العدد الثامن والسبعون والتاسع والسبعون ، ذو القعدة ـ ذو الحجة 1411هـ / أيار ـ حزيران 1991م ، ص 97 .

[v] – خالد الزواوي : اكتساب وتنمية اللغة ، مؤسسة حورس للنشر ، الاسكندرية ، مصر ، ط 1 ، 2005م ، ص 34 .

[vi] – أحمد مختار عمر : العربيّة الصحيحة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1998م ، ص 87 .

[vii] – زكريا شعبان شعبان : اللغة الوظيفية والاتصال ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الأردن ، ط1 ، 1432هـ / 2011م ، ص 79.

[viii] – ينظر : عاطف جميل عوّاد : مشاكل الناشئة مع اللغة العربية الفصحى وتصوّرات حلول لها ، مجلة المنطلق ، ص 96.

[ix] – أحمد مختار عمر : العربية الصحيحة ، عالم الكتب ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1998م ، ص 28 .

[x] – ينظر : عاطف جميل عوّاد : مشاكل الناشئة مع اللغة العربية الفصحى وتصوّرات حلول لها ، مجلة المنطلق ، ص 97 .

[xi] – أحمد بهاء الدين : المثقفون والسلطة في عالمنا العربي ، مجلة العربي ، كتاب العربي ، الكويت ، الكتاب الثامن والثلاثون ، ط1 ، 1999م ، ص 137 .

[xii] – محمد عبد الشافي القوصي : عبقرية اللغة العربية ، ص 41 .

[xiii] – عبد الله بن أحمد الفَيفي : مستقبل الثقافة العربية في ظلّ الوسائط الاتصالية الحديثة ، وزارة الاعلام ، مجلة العربي ، الكويت ، كتاب العربي 82 ، ط1 ، 15 يوليو 2010م ، ص 185 .

[xiv] – ينظر : اصلاح العربية ، ص 21 .

[xv] – عاطف جميل عوّاد : مشاكل الناشئة مع اللغة العربية الفصحى وتصوّرات حلول لها ، مجلة المنطلق ، ص 105 .

[xvi] – صالح بلعيد : مقاربات منهجية ، ص 70 .

[xvii] – صالح بلعيد : المرجع نفسه ، ص 70 ، 74 .

[xviii] – ينظر : عمران جاسم الجبوري وحمزة هاشم السلطاني : المناهج وطرائق تدريس اللغة العربية ، دار الرّضوان للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1434هـ / 2013م ، ص 282، 283 .

[xix] – عاطف جميل عوّاد : مشاكل الناشئة مع اللغة العربية الفصحى وتصوّرات حلول لها ، ص 107 .

[xx] – ينظر : أحمد عبد الكريم الخولي : اكتساب اللغة نظريات وتطبيقات ، دار مجدلاوي للنشر ، عمان ، الأردن ،ط1 ، 2014م ، ص 137 ، 142 .

[xxi] – ينظر : محمود أحمد السيد :اللغة العربية الأم وتحديات تعليمها وتعلمها ، اللغة العربية وتحديات العصر ، مؤتمر الطفل بين اللغة الأم والتواصل مع العصر ، دولة قطر ، 21 ، 23 فبراير ، شباط ، 2007م ، ص 67 .

[xxii] – ينظر :عوض بن أحمد القوزي : مناهج تعليم اللغة العربية ، منشورات الدراسات والأبحاث للتعريب ، ماي 2002م ، ندوة خاصة ، تعليم اللغة العربية والتعليم المتعدد ج1 ، ص 53 .

[xxiii] – ينظر : خالد الزواوي : اكتساب وتنمية اللغة ، ص 19 .

[xxiv] – محمد عبد الشافي القوصي : عبقرية اللغة العربية ، ص 16 .